جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

دراسات عليا / تاريخ حديث

التدخل الأوربي في الحرب الأهلية الأسبانية

اسم التدريسي

ا.د. عواد إبراهيم خضر

كان لإسبانيا موقع استراتيجي هام في البحر الأبيض المتوسط، وهذا الموقع والمكانة كان لهما أثر بارز على حركة المواصلات البحرية في هذا الحوض في حالة نشوب حرب عامة. وطوال فترة القرن التاسع عشر، شهدت إسبانيا العديد من الحروب الداخلية التي عرفت بتدخل العديد من الدول الأوروبية، لكن ذلك التدخل كان مقتصرا على إدخال المال والأسلحة فقط. لكن مع اندلاع الحرب الأهلية الإسبانية خلال الفترة الممتدة من عام 1936 إلى عام 1939، فقد اختلف الأمر تماما؛ لأن هذه الحرب كانت تعتبر مظهرا من مظاهر الصراع الأيديولوجي بين الأنظمة السياسية في أوروبا في ذلك الوقت، وتحديدا بين القوى الغربية من جهة، والفاشية الإيطالية والنازية الألمانية من جهة أخرى. كما كان لهذه الحرب بعد دولي آخر برز بسبب اعتماد طرفي الصراع على الدعم الخارجي والبحث عمن يزودهم بالأسلحة والمتطوعين، وهو الأمر الذي دفع بأربع دول أوروبية إلى المشاركة في هذه الحرب بدرجات متفاوتة، مما كان ينذر بإمكانية تطور الصراع إلى حرب عامة بين هذه الدول. ولا يمكن فهم طبيعة هذا التدخل الأجنبي إلا على ضوء البحث في مصالح هذه الدول أثناء اندلاع الحرب.

الموقف الحيادي للدول الأوروبية

في بداية عام 1936، بادرت الحكومة الفرنسية باقتراح دعوة الدول الأوروبية إلى عقد اتفاقية لعدم التدخل. وقد تضمنت هذه الاتفاقية ثلاثة بنود أساسية؛ ينص الأول على التزام جميع الدول بعدم إرسال أي نوع من الأسلحة أو المعدات العسكرية لإسبانيا، سواء لصالح الجمهوريين أو لقوات فرانكو، بينما ينص البند الثاني على أن يشمل حظر إرسال السلاح كافة عقود الشراء التي أبرمت سابقا مع الحكومة الإسبانية أو مع أي جهة أخرى في إسبانيا، في حين يطالب البند الثالث بإصدار

بيان رسمي يؤكد التزام الدول ببنود الاتفاقية المقترحة. ولكن بالرغم من هذا المقترح، فقد أدى الدعم الأولي الذي قدمته الحكومة الفرنسية إلى الجمهورية الإسبانية، والمتمثل في تزويدها بالسلاح والمعدات والطائرات الحربية، إلى تعرضها لضغوطات كبيرة من طرف المعارضة اليمينية وبعض الوزراء الفرنسيين. وتزامنت هذه الضغوط الداخلية مع ضغوط خارجية شديدة تعرض لها ليون بلوم من طرف رئيس وزراء بريطانيا، وذلك على إثر الزيارة التي قام بها في الرابع والعشرين من شهر تموز (يوليو) عام 1936، حيث طالبه بعدم التدخل في الحرب والتوقف الفوري عن تقديم المساعدات لإسبانيا، مبررا ذلك بأن هذا التدخل من شأنه أن يؤدي إلى اندلاع حرب عامة في أوروبا. ونتيجة لهذه الضغوطات المزدوجة، داخليا وخارجيا، اضطرت فرنسا في نهاية المطاف إلى الامتناع عن إرسال السلاح والمتطوعين إلى إسبانيا.

وفي سياق الردود الدولية على الاتفاقية الفرنسية المقترحة، لقيت هذه المبادرة موافقة كل من بريطانيا، وهولندا، وبلجيكا، وتشيكوسلوفاكيا. كما قام الاتحاد السوفياتي بإعلان موافقته المبدئية على بنود الاتفاقية، ولكنه اشترط أن تتبنى ألمانيا وإيطاليا التزامهما بهذه الاتفاقية. في البداية، اصطدمت الاتفاقية بمعارضة ألمانيا وإيطاليا اللتين أبدتيا شكوكهما حول حقيقة موقف الاتحاد السوفياتي، واعتبرا أن إعلان الحكومة السوفياتية قبولها لبنود الاتفاقية لا يعني بالضرورة تقيد منظمة الكومنترن بها. ولكن بعد فترة وجيزة، تراجعا عن قرارهما الرافض، وأعلنا في الرابع والعشرين من شهر آب (أغسطس) عام 1936 موافقتهما الرسمية على بنود الاتفاقية المقترحة. وتتويجا لهذه الجهود، تم في التاسع عشر من شهر أيلول (سبتمبر) عام 1936 عقد أول اجتماع للجنة عدم التدخل بحضور ممثلين لعدد من الدول الأوروبية. وقد تم تسمية هذه اللجنة باللجنة الدولية لتطبيق سياسة عدم التدخل، وتم اختيار موريس، السكرتير المالي في وزارة الخارجية البريطانية، رئيسا مؤقتا لها، وكان الهدف

الأساسي من تشكيل اللجنة هو التأكد من مصداقية الدول حول التزامها الفعلي ببنود الاتفاقية.

ولكن بالرغم من الإجراءات التي قدمتها اللجنة الدولية، استمرت الدول الأوروبية بتقديم المساعدات وتدفق المتطوعين إلى إسبانيا، سواء لدعم الجمهورية الإسبانية أو لمساندة قوات فرانكو. وفي مقابل هذا الخرق الواسع، نجد أن الحكومة البريطانية كانت هي الوحيدة التي التزمت فعليا بمبدأ عدم التدخل، وذلك لإدراكها حقيقتين أساسيتين؛ الأولى تتمثل في انقسام إسبانيا إلى فريقين متحاربين، والثانية هي قناعتها بأن إسبانيا ستبقى دولة صغيرة وضعيفة أيا كان الطرف المنتصر، وبالتالي فإن بريطانيا ليس لها أي مصلحة ترجى في التدخل في الحرب الأهلية الإسبانية. ويبدو جليا أن مشاركة الدول الأوروبية في لجنة عدم التدخل كانت مجرد خدمة لمصالحها الخاصة وليس من أجل المنع الفعلي للتدخل؛ فالاتحاد السوفياتي حاول من خلال مشاركته إثبات حسن نواياه لكل من بريطانيا وفرنسا، أما ألمانيا وإيطاليا فقد سعتا إلى تغطية تدخلهما الفعلي في إسبانيا بغطاء دبلوماسي شرعي، بينما كانت فرنسا تريد فقط التخلص من الضغوط التي فرضت عليها من طرف قوى اليسار الفرنسي التي طالبتها بالتدخل المباشر إلى جانب الجمهوريين الإسبان.

مصالح الدول الأوربية من التدخل في الحرب الأهلية الاسبانية

ألمانيا

كانت ألمانيا من أكبر الدول المساهمة في الحرب الأهلية الإسبانية، وقد لعبت دورا فعالا في ترجيح كفة الحرب لصالح قوات فرانكو. ويتضح ذلك جليا من حجم المساعدات الضخمة التي قدمتها لقواته؛ فعلاوة على المهمات الحربية المتعددة التي قامت بها، أقدمت الحكومة الألمانية على إرسال طيارين ورجال مدفعية لدعم

العمليات، بالإضافة إلى إرسال فرقة الكومندو التي ضمت حوالي ثلاثة آلاف وثمانمائة فرد تحت إمرة قائد برتبة جنرال. وقد توجت ألمانيا دعمها بأن كانت من أوائل الدول التي أعلنت اعترافها الرسمي بحكومة فرانكو في الثامن عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1936. لكن ألمانيا كان لها أهداف ومصالح خفية من وراء كل هذه المساعدات، حيث حاولت أن تستغل الحرب الأهلية الإسبانية في توسيع فجوة الخلاف بين إيطاليا وفرنسا، كما سعت إلى عقد تحالف استراتيجي مع إسبانيا من أجل إثارة قلق فرنسا، لأن هتلر كان يفكر بأن إسبانيا الفاشية ستجبر فرنسا على الاحتفاظ بجنودها على حدود جبال البيرنييه في حال نشوب حرب بين فرنسا وألمانيا. كما استخدمت ألمانيا الأراضي الإسبانية ميدانا حيا لاختبار كفاءة أسلحتها، ولا سيما السلاح الجوي، وكانت تأمل أيضا في الحصول على بعض المواد الأولية الحيوية من إسبانيا كالفحم الحجري، والحديد، والمنغنيز. وكان هتلر يريد إطالة أمد هذه الحرب كي تضعف إيطاليا وتشل قدرتها العسكرية والاقتصادية على مواجهة ألمانيا إذا ما أرادت الأخيرة ضم النمسا إليها. وقد أيد الشعب الألماني هذا التدخل العسكري في الحرب الأهلية الإسبانية ضد حكومة الجبهة الشعبية الإسبانية بشكل واسع، لأن الروح الألمانية أصبحت مشبعة ببغض الشيوعية، وكان الشعب الألماني يعتقد يقينا بأن الشيوعية هي أكبر خطر يهدد كيان الحضارة الغربية، وأن أشد شعوب العالم عداوة إلى ألمانيا هو الشعب السوفياتي، وهذا ما كرسته الأيديولوجية النازية وغرسته بعمق في عقول الشعب الألماني.

إيطاليا

لقد بدأت اتصالات إسبانيا مع الفاشيين الذين كانوا يستعدون لتفجير الثورة في وقت مبكر؛ ففي الثالث والعشرين من شهر آذار (مارس) عام 1934، التقى الدوتشي بقادة حركة التجديد الإسبانية، وتعهد لهم بالاعتراف بالحكومة الملكية في إسبانيا،

وإعادة النظام الاجتماعي والسياسي لها. وقد حصل نظير ذلك التعهد على وعود بامتيازات تجارية خاصة في حال فرضها سيطرتها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. وبعد اندلاع الصراع، تدخلت إيطاليا بشكل صريح ومباشر في الحرب، وذلك عندما سافر سانخورخو، أحد زعماء الثورة الإسبانية، إلى كل من روما وبرلين من أجل طلب المساعدة العاجلة من الحكومتين الإيطالية والألمانية. وقد دلت الوثائق الصادرة عن أصدقاء الجنرال فرانكو أن أحد القادة الثوار، وهو الجنرال مولا، كان قد وقع اتفاقا سريا مع حكومة إيطاليا. وكانت الحكومة الإيطالية ترى أن حكومة فرانكو سوف تتخلى لها، في المقابل، عن قواعد بحرية وجوية في جزر البليار، نظرا للأهمية الاستراتيجية البالغة لهذه الجزر المواجهة لجبل طارق الإنجليزي، أو أن تسمح لها بالمشاركة في استعمال مراكش بالتعاون مع إسبانيا. وقد أخذت المساعدة الإيطالية أشكالا عسكرية مختلفة، مثل إرسال الأسلحة التي شملت عشرة آلاف مدفع رشاش، ومائتين وأربعين ألف بندقية، وألف وتسعمائة وثلاثين مدفعا. وبحلول شهر تشرين الأول (أكتوبر) من عام 1937، وصل عدد الإيطاليين المحاربين في إسبانيا إلى حوالي ستين ألف مقاتل تقريبا. إضافة إلى ذلك، برز العمل البحري الذي قامت به إيطاليا والمتمثل في مشاركة تسعين سفينة حربية، وكذلك إرسال الغواصات التي كانت مكلفة بأن تقذف بالطوربيد في مياه البحر المتوسط السفن التجارية المحايدة التي كانت تمون إسبانيا الجمهورية. وكانت الصحافة الإيطالية تحتفل بانتصارات جيش الوطنيين بحماسة وكأنها انتصارات إيطالية خالصة. لقد تعددت الأهداف التي دعت الحكومتين الإيطالية والألمانية إلى التدخل المشترك في الحرب الأهلية الإسبانية، إذ رأت الأولى أن انتصار حكومة الجبهة الشعبية الإسبانية يمثل بالضرورة انتصارا للحركة الشيوعية، وأنه سيؤدي حتما إلى تعزيز النفوذ الفرنسي

والسوفياتي في منطقة البحر المتوسط على حساب المصالح الإيطالية، وبالتالي يمهد الطريق بشكل خطير نحو انتشار الشيوعية خلف الحدود الإسبانية.

الاتحاد السوفياتي

نظرا للمصالح المتداخلة والمتضاربة للدول الأوروبية العظمى، اضطرت كل واحدة منها إلى اتخاذ موقف معين من الحرب الأهلية الإسبانية. ففي الوقت الذي بدأت فيه حكومتا إيطاليا وألمانيا في تقديم المساعدات العسكرية الضخمة، فإن الحكومة السوفياتية كانت بعيدة عن أن تعطي لتدخلها قوة مشابهة وموازية لتلك التي مارستها إيطاليا وألمانيا لصالح الوطنيين، حيث اقتصرت المساعدات السوفياتية في البداية على إرسال الغذاء والمواد الخام فقط. ويمكن تفسير تردد الاتحاد السوفياتي في تدخله المباشر في الحرب الأهلية الإسبانية بعدم تأكده من طبيعة موقف إيطاليا وألمانيا إزاء الحرب. وفي الخامس من شهر آب (أغسطس) عام 1936، قامت الجماهير السوفياتية بتقديم الدعم المعنوي للجمهوريين، وذلك بتنظيمها لمظاهرات جماهيرية وحملات تبرع واسعة شهدتها معظم المدن السوفياتية، حيث تظاهر حوالي اثني عشر ألف مواطن سوفياتي في الساحة الحمراء وسط موسكو تنديدا بالتدخل الإيطالي والألماني في إسبانيا. ولكن عندما تأكد الاتحاد السوفياتي من حجم التدخل الإيطالي والألماني في الحرب وتقديم المساعدات المكثفة لقوات فرانكو، مهد له ذلك الطريق للتدخل المباشر الذي بدأ بدعم معنوي وانتهى بتدخل عسكري. وفي الحادي والعشرين من شهر تشرين الأول (أكتوبر) عام 1938، عقد مجلس السوفيات الأعلى اجتماعا هاما في موسكو تمخض عنه إصدار بيان رسمي أكد فيه على وقوف الحكومة السوفياتية الثابت إلى جانب الحكومة الإسبانية واستنكر التمرد العسكري الذي قاده الجيش ضدها. وبناء على ذلك، بدأت موسكو في إرسال المعونات العسكرية الفعلية إلى إسبانيا، حيث وصلت فرق عسكرية ضمت جنسيات

شيوعية مختلفة، وهي الفرق التي أرسلها الكومنترن للاشتراك المباشر في هذه الحرب. وقد كانت الحكومة السوفياتية تهدف بتدخلها هذا إلى تقوية شوكة الشيوعية للوقوف ضد موجة الفاشية المتصاعدة في أوروبا الغربية، وربما كان لديها انشغالات استراتيجية أعمق في شبه الجزيرة الأيبيرية، لإدراكها أن نجاح الحزب الشيوعي في إسبانيا سيفتح أمام الاتحاد السوفياتي أبوابا واسعة لإقامة قواعد عسكرية حيوية في الحوض الغربي للبحر المتوسط والمحيط الأطلسي. لقد أدرك الاتحاد السوفياتي حينها أنه لا توجد أي أهمية في الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع بريطانيا وفرنسا إذا لم تكن تلك العلاقات مرتبطة برغبتهما الحقيقية في الحد من التدخل المباشر لألمانيا وإيطاليا في الحرب الأهلية الإسبانية.

فرنسا

لم تكن فرنسا ترغب في بداية الأمر في التدخل في هذه الحرب، بل إنها كانت صاحبة المبادرة التي اقترحت فكرة سياسة عدم التدخل، وذلك لأنها كانت ترى بوضوح أن تدخل الدول الأوروبية وتورطها في الحرب الإسبانية سوف يؤدي لا محالة إلى قيام حرب عالمية ثانية. وقد صرح ليون بلوم، رئيس الجبهة الشعبية في فرنسا، مؤكدا عدم مد إسبانيا بالمساعدات العسكرية، ومشددا بقوله إن أسباب الحرب في حد ذاتها ثقيلة، وأن فرنسا لا تفكر أبدا بزيادة خطورتها بكفاح مذهبي. ولكن الرأي العام الفرنسي انقسم على نفسه بشدة حول الموقف الذي يجب اتخاذه من هذه الحرب، وعلى الرغم من التصريحات الرسمية بالحياد، فقد تدخلت فرنسا فعليا في الحرب، وذلك استجابة للضغوط التي حدثت عندما قام الاتحاد العام للعمل والحزب الشيوعي فيها بتنظيم حملة قوية منذ بدء الحرب الأهلية الإسبانية. وتحت وطأة هذا الضغط، بدأت فرنسا بإرسال السلاح والعتاد الحربي إلى الجمهوريين الإسبان. وقد عرفت فرنسا بتأييدها السياسي للجمهوريين، ولم تكن ترغب على الإطلاق في أن

يحقق فرانكو انتصارا حاسما عليهم؛ لأن ذلك سيمكن إيطاليا، حليفة فرانكو، من الحصول على مواقع استراتيجية هامة في الحوض المتوسط الغربي، وهو الأمر الذي عارضته فرنسا بشدة واعتبرته تهديدا مباشرا لأمنها القومي.

بريطانيا

كان موقف بريطانيا من الحرب الأهلية الإسبانية شبيها إلى حد بعيد بموقف فرنسا؛ فقد شهدت بريطانيا اختلافات داخلية واضحة حول الموقف الواجب اتخاذه إزاء الحرب، تماما كما حدث في فرنسا. فمن جهة، كان حزب المحافظين الأحرار يميلون إلى تأييد قوات فرانكو، بينما كان العمال، من جهة أخرى، يدعون بقوة إلى مساندة الجمهوريين، ولكن تم ذلك دون ممارسة أي ضغط فعلي ومؤثر على الحكومة من أجل إرسال المساعدات العسكرية لإحدى الطرفين. وقد كانت سياسة عدم التدخل التي تبنتها واتبعتها بريطانيا بمثابة ستار آمن يعزل الحرب الأهلية الإسبانية عن حدودها الجغرافية، وبالتالي يجنب أوروبا من إمكانية نشوب حرب عامة مدمرة في حال استمرت الدول الأجنبية في تقديم المساعدات العسكرية المفتوحة إلى شبه الجزيرة الأيبيرية. ولذلك، كانت بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي التزمت بشكل صارم بمبدأ عدم التدخل، وما ساعدها في اتخاذ هذا الموقف والثبات عليه هو التأييد الواسع الذي لقيته من الرأي العام البريطاني، والذي لم يكن منقسما على نفسه بالشكل الحاد الذي كان موجودا في فرنسا. كما نجد أن شخصيات بارزة مثل تشرشل اتخذت أيضا موقفا محايدا وواضحا، حيث صرح بأن الجمهوريين لا يستحقون معاملة أفضل من خصومهم، لأنهم هم أيضا لا يمثلون كامل تطلعات الشعب الإسباني. ومن خلال دراسة مواقف هذه الدول السالفة الذكر، يتضح جليا سبب فشل عصبة الأمم في اتخاذ موقف سياسي موحد وحازم من الحرب الأهلية الإسبانية، حيث اعتبرتها مجرد صراع داخلي، وكانت سياستها تجاه الأزمة مجرد انعكاس

لسياسة الدول الأوروبية التي كانت أعضاء فاعلين فيها، ولذلك بادرت العصبة إلى تأييد تشكيل لجنة عدم التدخل بدلا من اتخاذ إجراءات رادعة.